

موت الشباب عظة

الغرب - عدد خاص بذكرى الأربعين -

السنة السادسة - العدد 937 - الأربعاء 6 ربيع الآخر عام 1361 - 29 أبريل سنة 1942

عثمان المطاعي

في كل برهة يعطنا الدهر، وينصحنا بما يفاجئنا به من حوادث، وهي ضروب شتى يهاجمنا بها في استحثات مدهش كـ ندرك كنه فصاحتها فتعطـ، يا ما أفصـ لغـ الـهـرـ! في صـتهاـ بلـاغـةـ يـفـهـمـهاـ كلـ حـيـ يـذـوقـ مـارـةـ الـحـيـاـةـ، ولـقـدـ تـقـطـعـ الـأـكـبـادـ لـبـيـانـهاـ وهـيـ صـامـةـ، ولـلـغـاتـ الصـامـةـ كـفـيلـةـ بـشـرـحـ نـفـسـهاـ.

بـمـثـلـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ الـتـيـ كـانـتـ السـبـبـ فـيـ هـذـاـ الـاجـتمـاعـ يـتـعـظـ مـنـ يـمـاشـيـ الـأـقـدارـ لـتـأـخـذـ بـزـمـامـهـ الـأـسـعـادـ إـلـىـ مـسـالـكـ النـجـاةـ وهـيـ الـعـلـمـ لـكـلـ جـيلـ يـهـمـ شـأنـ مـعـانـيـ الـحـيـاـةـ، ويـخـتـمـ فـيـ عـقـيـدـتـهـ ذـلـكـ الـمـرـورـ الـمـسـرـعـ عـلـىـ جـسـرـ الـأـيـامـ الـخـادـعـةـ كـلـ حـيـ، عـامـلاـ فـيـ مـرـورـهـ ذـلـكـ سـاعـيـاـ إـلـىـ الـكـرـمـاتـ، غـيرـ مـكـتـرـثـ بـهـاـ حـولـهـ مـنـ خـيـالـاتـ كـاذـبـةـ - نـقـطةـ مـاـ أـسـودـهـاـ - وـمـضـيـ الـعـمـرـ فـيـ غـيرـ الـعـلـمـ خـسـرانـ، وـلـيـتـ إـلـيـانـ يـعـضـيـهـ فـيـ خـدـمـةـ الـبـلـادـ وـالـعـبـادـ، إـلـاـ عـلـىـ مـوـتـ الـعـامـلـيـنـ.

نـصـحـكـ كـثـيـراـ مـنـ غـيرـ خـجلـ، وأـخـيـارـنـاـ تـتـسـابـقـ إـلـىـ الرـمـسـ، كـأـهـمـ مـنـ تـقـصـيرـنـاـ أوـ مـنـ خـذـلـانـ الـحـيـاـةـ هـارـبـونـ - لـاـ غـرـوـ إـنـ هـرـبـواـ - فـإـنـ الـبـطـلـ الـلـبـيـبـ يـطـلـبـ لـنـفـسـهـ النـجـاةـ إـذـاـ لمـ يـكـنـ فـيـ سـاعـةـ الـوـغـىـ مـنـ يـشـجـعـهـ عـلـىـ مـاـ هـوـ مـقـبـلـ عـلـيـهـ مـنـ أـخـطـارـ. وـكـلـ الـحـيـاـةـ أـخـطـارـ. أـهـيـاـ السـادـةـ، نـرـيدـ أـنـ تـنـتـعـظـ فـكـيـفـ تـنـتـعـظـ؟ هـلـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ بـكـيـ وـتـحـسـرـ وـنـظـهـرـ الـجـزـعـ حـتـىـ نـهـمـلـ نـظـامـ الـحـيـاـةـ، أـوـ تـقـسـوـ قـلـوبـنـاـ وـتـجـفـ آـمـاقـنـاـ وـأـنـ لـاـ نـشـعـرـ بـالـأـلـمـ السـارـيـ فـيـ أـحـشـائـنـاـ أـمـ مـاـ هـيـ الـمـوعـذـةـ؟

سبحانك اللهم، فأنت المرشد الحكيم، لقد ألمتنا لإدراك نتائج الوعظ والإرشاد في عناوين الفرص الضائعة، ولا عوض لها، وهي التي تمر والناس عنها غافلون، وأثارها تدل عليها، كل رموزها تشير لأن تكون سعيد، لأنه شاب لم يقطع غير قليل من مسافة شبابه الغض حتى أدرك الغاية من الحياة، فأصبح ينظم أكاليل مجده بيده، فكانه يودع الثقافة الخالدة في قطره، ونبوغه الذي همل وكبر في أعماق القلوب، فكيف يسلوان عنك وأنت الإبن البار يا سعيد؟

فأضحت همته تخطي المسالك في حين الدهر بدقة فائقة، ومن حين إلى آخر يلقي بتلك النظرة السديدة التي تخرق حجب الأمل إلى أبد بعيد، نحو المرام الذي هو المجد المنشود. فتضيق العبرية والحرارة في نفسك يا سعيد.

وهمة الرء لا تعدو بصيرته بقدر همته يسمو إلى الطلب
كل له أرب لكن أخو قصر في الهم ليس له في المجد من أرب

سبق السيف العدل يا بطل الشباب، فرأى الدهر العبرية في برنامج سعيد في حياته إذ كانت خطته تسير مع الأيام سير الأفلاك السائرة، وكأن المنون من حсадه، فاختطفته ليناموا مستريحين، وهياهات أن يسترحوا بعد فقدان سعيد.

فلو علم المنون ما يرمي إليه عزم سعيد لأبقاءه يعمل على شاكته لنفع البلاد والعباد. نعم يا فلذة الأكباد، واسترح من نفاق الدنيا يا زهرة الشباب، قد أديت للتاريخ رسالته الكبرى، فأصبح مشغلا بأداء واجبك أنت إذ كان حتى التاريخ يراعي الذمم والمعهود، ولقد كنت وأنت في عالم الأحياء أعز عظة خلقت مساعديك الذهبية، تفوح بأطيب ذكر في سجل الخلود.وها هو المجد حلفك بالأمس قام اليوم ليبني لزياك الشتى هيكلًا على هامة الدهر لا يضاهيه هيكل، وسيحتج إليه شبان كل عصر، حاملين لواء الثناء رافعين أصواتهم بأحسن عبارة - الله أكبر - بهذا تعظون أيها الشبان.